العرب
الإثنين 2020/06/01
السنة 43 العدد 11718

# أدباء تصدوا للجوائح بأسئلة وجودية تعيد نفسها

## الإنسان يحمل خوفا غريزيا أكثر بدائية مما نتصور

الجوائح والأوبئة ليست أمرا جديدا على البشرية، ففي كل حقبة يأتي وباء ما ويثير الهلع القديم لدى الناس، وما يثير الانتباه، هو أنه رغم التطور العلمي المهول الذي عرفه البشر، فإن مشاعرهم تجاه الأوبئة وتصرفاتهم الغريزية ظلت هي نفسها، حيث الهلع والهوس بتوفير المؤونة في ما يشبه الصراع، وتأليف الخرافات، نفس الشيء يتكرر، وهو ما قاربته أكثر من رواية.

بشرى فاضل

الرباط – "كانت سنوات الأربعينات من القرن الماضي عصيبة على جميع المستويات. فعلاوة على النقص الكبير في المواد الغذائية، انضافت أزمة صحية تفاقمت بسبب نقص الأدوية ومواد النظافة، وانتشرت جوائح قاتلة بسرعة كبيرة، خلفت مئات الآلاف من الضحايا، لاسيما في القرى، حيث تم وضع المناطق الأكثر تضررا تحت الحجر الصحي. وفي المدن، لم يكن الوضع أقل خطورة حيث لم تتمكن التدابير التي اتخذتها السلطات من الحيلولة دون تفشي العدوى لمدة طويلة".

كان هذا مقتطفا من رواية "المجاعة الكبرى" للكاتب المغربي سفيان المرسني، والتي تطرق فيها إلى الأيام العصيبة التي عاشها المغرب في أربعينات القرن الماضي عندما عانى من الجفاف ونال نصيبه من المجاعة والأوبئة.

### تاريخ يتكرر

مناسبة التذكير بالمشاهد التي حكاها المرسني في روايته هو ما يشهده العالم منذ مطلع السنة الجارية بسبب جائحة فايروس كورونا المستجد، (كوفيد – 19) التي أرخت بظلالها على البشرية، وانتشرت عبر الحدود والقارات كالنار في الهشيم، وجعلت ردود فعل البشر أمام هذا العدو الخفي تكشف بأن الجوائح والحروب أو أيّ آفة أخرى، توقظ في الإنسان غرائزه الأكثر بدائية، حيث بدا واضحا كيف اجتاح الهلع الذي سببته هذه الجائحة نفوس البشر، وجعلهم يتهافتون على المواد الغذائية مثل ذئاب جائعة.

وبالفعل، فقد أعادنا فايروس كورونا المستجد، وكل المخاوف المرتبطة به، إلى الوضع الذي شهدته تلك الحقبة الصعبة التي اعتقدنا، خطأ، أنها قد ولت إلى الأبد.

وكما يقول الكاتب في روايته، فإن الخوف الطبيعي من الموت جوعا يدفع الناس إلى ردود فعل مماثلة، مدفوعين في ذلك بغريزة البقاء، بغض النظر عن الزمان والمكان.

وفي واقع الأمر، فإنه، وبمجرد أن تلوح أزمة مماثلة في الأفق، يصبح لدى الإنسان تخوف واحد فقط، هو الخوف من الموت جوعا، ويغدو لديه هاجس واحد هو توفير مخزون من الطعام يمكنه من مواجهة النقص في المواد الغذائية لأطول فترة ممكنة.

وفي هذا الإطار تبرز مشاهد الطوابير الطويلة أمام المتاجر والأسواق التجارية الكبرى لتحقيق هذه الغاية بما يحيل مباشرة على ما وقع في أربعينات القرن الماضي عندما كان المغاربة يضطرون للانتظار، لأيام كاملة أحيانا، حتى يحين دورهم للاستفادة من كميات الطعام الضئيلة المخصصة لهم من قبل سلطات الحماية. وبالإضافة إلى الأزمة الصحية وانتشار الأمراض المعدية، فقد كان بعض التجار عديمي الضمير يستغلون ظرفية الخوف من نفاد المواد الغذائية، ليرفعوا الأسعار ويراكموا الثروة على حساب مواطنيهم. ألا يقولون إن مصائب قوم عند قوم فوائد؟ ونفس الشيء يتكرر اليوم.

### درس كوني

إلى جانب "المجاعة الكبرى"، حفلت بيبليوغرافيا الأدب بالعديد من الروايات التي لجأ كتابها إلى توظيف موضوع الجوائح لتسليط الضوء على ما يمكن أن يتحول إليه المجتمع عندما تحل به مأساة من هذا النوع والحجم وتسلبه حرياته وقيمه الأساسية وتشكل تهديدا واضحا لحياة كل فرد من أفراده.

> بيبليوغرافيا الأدب حفلت بالعديد من الروايات التي لجأ كتابها إلى توظيف موضوع الجوائح لتعرية المجتمعات وغرائزها

وبذلك، أصبحت لكل مأساة روايتها الرمزية. فرواية "الطاعون" للفرنسي ألبير كامو تحكي عن هذا الوباء الذي ضرب مدينة وهران "في تاريخ غير محدد"، حسبما ورد في صفحتها الأولى.

ويقول الروائي إنه "في غضون أيام قليلة، ارتفع عدد الموتى وسرعان ما بدا واضحا لأولئك الذين يهتمون بهذا المرض الغريب أنه جائحة حقيقية"، مضيفا أن سكان المدينة الجزائرية وجدوا أنفسهم "أسرى" للطاعون.

ويتابع كامو بالقول "كما هو الحال بالنسبة إلى جميع أمراض هذا العالم، فإن هذا الشر الذي يفتك بالسكان له جانب مشرق نوعا ما، حيث إنه يفتح أعيننا ويجعلنا نفكر حتى نلقي نظرة جديدة على الناس والأشياء عند نهاية المحنة".

وتغيير الطريقة التي ننظر بها إلى العالم، هو درس كوني وخالد تلقنه الجوائح والأوبئة للبشرية، سواء كان اسمها "الطاعون" أو "كورونا".

من بين الروايات التي اهتمت بموضوع الجوائح أيضا، هناك رواية "الحجر الصحي" للكاتب الفرنسي جان ماري غوستاف لو كليزيو التي تصف نفسية ركاب باخرة تم إنزالهم في جزيرة وإخضاعهم للحجر الصحي في مواجهة مرض الجدري، وكذلك رواية "الحب في زمن الكوليرا" للكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، الحائز على جائزة نوبل للآداب، الذي لجأ إلى المرض كخلفية لوصف الشعور بالحب بكل عيوبه، ولكن أيضا في جماله وقوته التي تنتصر على الوباء.

وتثير هذه الروايات عن الجائحات، التي تنتمي إلى عصور وأماكن وثقافات مختلفة، أسئلة وجودية تتعلق بالطبيعة البشرية المنقسمة بين القلق والمخاوف، والفشل والوحدة، واليأس والأمل. كما أن التحليل النفسي العميق لموقف الإنسان من المرض والموت يلامس القارئ في قرارة نفسه، ويزعزع قناعاته ويضعه أمام أسئلة ميتافيزيقية مستمرة.

فمن خلال ثيمة الجائحة، تمكّن الكتّاب المعاصرون من رصد واقع البشر وتشريح الشرط الإنساني والكفاح المتواصل الملقى على عاتق الإنسان.

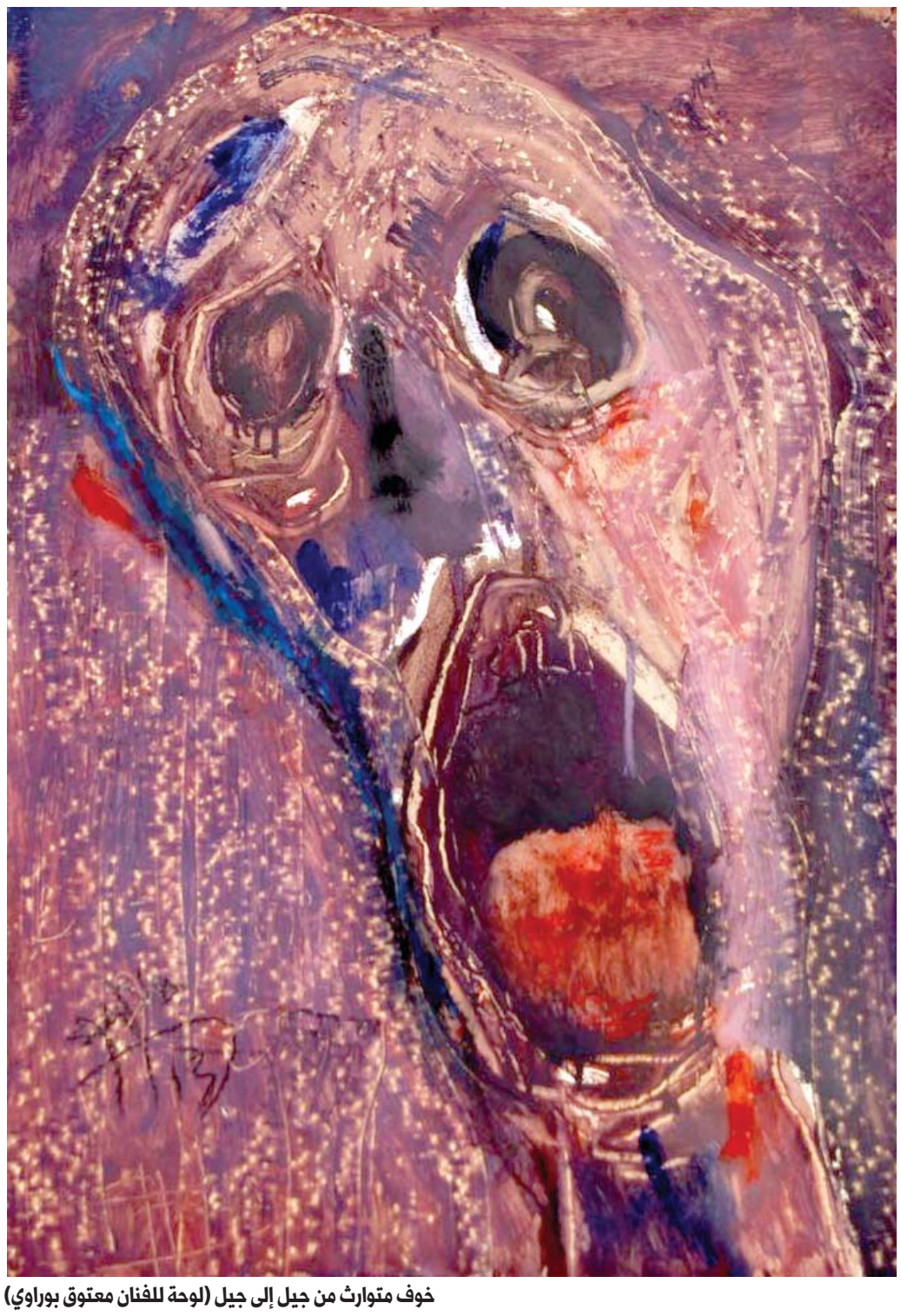

خوف متوارث من جيل إلى جيل (لوحة للفنان معتوق بوراوي)

# الجوائز الثقافية ظاهرة يرافقها الجدل

تطوان (المغرب) – تنظم دار الشعر بتطوان ندوة عن "الجوائز الثقافية في العالم العربي"، الأربعاء 3 يونيو، بمقر دار الشعر في تطوان، وبحضور افتراضي. بينما تبث الندوة عبر منصات وقنوات التواصل الاجتماعي.

ويشارك في هذه الندوة كل من الناقد والمترجم عبداللطيف البازي والناقد والمسرحي يوسف الريحاني، بينما يحل الكاتب والإعلامي ياسين عدنان ضيفا على الندوة.

وياسين عدنان هو عضو مجلس أمناء الجائزة العالمية للرواية، وعضو مجلس إدارة المورد الثقافي. كما شغل عضوية لجان تحكيم في عدد من الجوائز المغربية والعربية، ويقدم حاليا واحدا من أهم البرامج الثقافية في العالم العربي، وهو برنامج "بيت ياسين" على قناة الغد. بينما توج يوسف الريحاني بجائزة الشارقة للإبداع العربي، في صنف المسرح، سنة 2006، وجائزة محمد تيمور للمسرح في القاهرة، سنة 2007، وجائزة دبي الثقافية للمسرح سنة 2014، وجائزة الشارقة للبحث التشكيلي النقدي العربي سنتي 2016 و2019. أما عبداللطيف البازي، فقد شغل عضوية لجان تحكيم عدد من التظاهرات السينمائية والأدبية داخل المغرب وخارجه، وهو الكاتب العام لمؤسسة مهرجان تطوان الدولي لسينما البحر الأبيض المتوسط.

وتناقش ندوة "مستقبل الجوائز في العالم العربي" ظاهرة ثقافية طالما شكلت حافزا للكتاب والقراء، سواء بسواء. فالأكيد أن الجوائز ليست مجرد ترف واحتفال يأتي بعد تأليف الكتاب مثلا. ذلك أن شروط ومعايير الترشح للجائزة، ورغبة المترشحين في إقناع لجان التحكيم، وعناية المثقفين والمبدعين بأعمالهم المرشحة، أمور طالما شكلت مصدرا لإعمال الجودة وتوخي الدقة والجمال أثناء البحث والإبداع والتأليف. كما تشكل الجوائز الثقافية والأدبية دليلا للقراء، وهي تقترح عليهم أعمالا محكمة تم اختيارها من بين أخرى كثيرة.

قد يرى البعض أن الجوائز بقدر ما تنبهنا إلى أعمال مهمة بقدر ما تحجب عنا رؤية أخرى كثيرة لم يحالفها الحظ في التتويج. غير أن هذه الحقيقة إنما تمنح الجوائز قيمة أكثر، وتؤكد ضرورة وجود جوائز كثيرة، بما يضمن فرصا أوفر وحظا أكبر للأعمال الأكثر جودة ومصداقية.

بهذا، تتخذ الجوائز موقعا لها ضمن منظومة الصناعات الثقافية، كما تتخذ أكثر من موقع في صناعة الكتاب خاصة. وفي هذا الإطار الثقافي، تبدو الجائزة في طليعة الجهات المتدخلة في صناعة الكتب، قبل التأليف نفسه أحيانا، وقبل أن نتحدث عن الطباعة والنشر والتوزيع، وصولا إلى القراءة. وتختلف الجوائز لتشمل كل مرحلة من هذه المراحل، فمنها جوائز العمل المخطوط، ومنها جوائز العمل المنشور، وأخرى للناشرين والمنتجين، وصولا إلى الجوائز الخاصة بالقراء.

وفي عالمنا العربي، تشهد المعطيات والأرصدة الوثائقية المتاحة أن الجوائز هي السبب الوجيه، بل يكاد يكون الوحيد، الذي يضمن للكتاب الوصول إلى الطبعة الثانية وما بعدها، كما يضمن للعمل المسرحي والتشكيلي، مثلا، عروضا فنية وتجارية على نطاق واسع.

تطوان
دار الشعر

> دار الشعر بتطوان تناقش ظاهرة الجوائز الثقافية وقيمتها سواء لدى الكتاب والمبدعين أو لدى القراء والمتابعين

كما يشهد تاريخ الجوائز الثقافية في العالم العربي على قيمة هذه الجوائز وأهميتها، من جوائز الاكتشاف إلى جوائز الاعتراف. تشمل الأولى جوائز الكتاب والمبدعين الشباب، وهي تكتشفهم وتقدمهم للثقافة العربية. وتأتي الثانية في صيغة اعتراف يشهد للمثقفين والفنانين ويشيد بتجاربهم ومنجزاتهم.

وما بين هاته وتلك، ثمة جوائز كثيرة في مختلف الحقول الثقافية والفنية، وفي مقدمتها جائزة القدس وجائزة نجيب محفوظ، المتوج بنوبل للآداب، وجائزة الطيب صالح، وجائزة الشيخ زايد للكتاب، وجائزة سلطان العويس، وجائزة الملك فيصل، وجائزة أبوالقاسم الشابي في تونس، وجائزة الأركانة العالمية للشعر وجائزة الأطلس الكبير، وجائزة البوكر للرواية العربية، التي صارت في طليعة المؤسسات التي تغني وتثري سوق الرواية العربية.

وتبقى الشارقة إمارة الجوائز في العالم العربي، حيث تقترح علينا العاصمة العالمية للكتاب لسنة 2019 سبع جوائز مرموقة في المسرح والتشكيل والشعر والقصة والرواية. بينما اختارت هذه المرة الإعلان عن جائزة جديدة خاصة بنقد الشعر العربي.

هكذا، تمتلك الجوائز الثقافية قيمة كبرى، لا يستفيد منها الفائز بالجائزة وحده، بل يستفيد منها القارئ، مثلما يزدهر بها المشهد الثقافي والفني، كما تنتعش بفضلها الصناعات الثقافية والفنية.

وفي الأخير، تبقى الجائزة ظاهرة ثقافية وحضارية راقية، تحتفي بالأبحاث والدراسات والإبداعات الإنسانية، والتي أصبحت جديرة بالتثمين والاعتبار أكثر من أي وقت مضى، في زمن اشتدت فيه الحاجة إلى تكريم الإنسان الخلاق، وتقدير عطاءاته ومنجزاته.

# نصوص أدبية عربية حول الأشجار

عمّان – "كل غصن معنى" هكذا جاء العنوان الفرعي لكتاب "بشجريات" الذي حررته سالمة سالم المرهوبي وشارك فيه عدد من الكتاب من مختلف الأجيال والمشارب والتوجهات والجنسيات.

والكتاب عبارة عن "سبعة وعشرين غصنا" تنوع كتابها وتعددت مواضيعها، وإن كانت رمزية الشجرة حاضرة في جميع النصوص التي احتواها العمل.

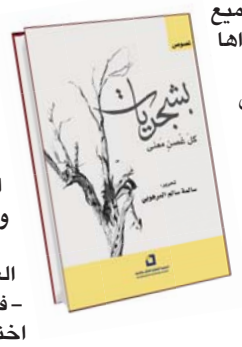

وجاءت النصوص لتشكل احتفالية بالشجرة من حيث هي معنى وروح يمكن إسقاطهما على الكثير من قضايا عالم الإنسان، تارة بامتدادات الإنسان في شجرة السلالة الأدمية، وتارة بأحواله النفسية التي تتقلب بتقلب الفصول، وتارة بما تمثله الشجرة في حضورها الملازم للإنسان في بداوته وحضره.

ومن بين النصوص نذكر "لو كنت شجرة" لإبراهيم سعيد، "ذاكرة الشجرة" لعادلة علي، "سدرة البيت" لمنى المعولي، "لومية ويا لومية" لسالمة المرهوبي، "توتة أنت أم ياقوتة" و"نارنجة البيت القديم" لمحمود علي من سلطنة عمان، "لغز الحياة" و"شجرة تزرع إنسانا" لحسني النجار من سوريا، "إلى صديقي عاشق الشجرة" و"الفأس" لعبدالله الكعبي من السلطنة، "لماذا رميتني فنبتُّ" لجمال الأمين من السودان، "من يعيد لذلك الفتى حلمه" لحنين سليمان علقم من الأردن، "الأم" لمحمد خير سعدالدين من فلسطين، و"أنا أكبر منك أيها الإنسان" للدكتورة زينب الخضيري من السعودية، وغيرها.

وأثبتت النصوص تمكن كتابها من فن البيان، ووضوح الأفكار التي منحتهم مساحات مضاعفة للتعبير، فالكتاب هو نتاج لورشة الكتابة الإبداعية التي أشرف عليها فرع الجمعية العمانية للكتاب والأدباء بالبريمي.

وأوضحت إدارة الجمعية العمانية للكتاب والأدباء – فرع البريمي أن الشجرة اختيرت في هذا العمل رمزا "لما لها من عطاء لا ينقطع، وهي مقام رمزي، تضرب بجذورها في تراب اللغة، تعالج الخصب والجدب، تحاور اليباس والخضرة، تورق بالأمل، تزهر بالجمال وروائح الحياة، وتثمر بالمعنى العصي. الشجرة كلمة طيبة ونار مطهرة".

ونذكر أن كتاب "بشجريات" صدر أخيرا عن "الآن ناشرون وموزعون" في الأردن بالتعاون مع الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء، وجاء في مئة وسبع صفحات من القطع المتوسط.